قصة قصيرة لايندا خالد محمد الخفاف

" قيد صدئ "

(مباغتة)

تجمعوا حولنا غاضبين ، ومضطربين ، لم أفهم شيئاً مما يقولون ، كانت لهجتهم غريبة ولغتهم معقدة ، صراخ يتبعه صراخ ، ما أخافني أكثر من ثورتهم حقاً هو أن تفلت يد أبي من يدي التي بدأ الوهن يدب فيها ، لم نأكل منذ سبعة أيام ، فسرى الضعف في جسدنا حتى وصل لقلوبنا .

أخذونا لغرفة غير التي قضينا فيها الأربعة أشهر الماضية ، كما نقلونا قبلها من منطقة لأخرى ، ومن حي لحي ، وكل أرض نطأها تكون أبرد وأقسى من سابقتها .

أسرعي ، بقيت طول الطريق أرددها .

في الغرفة التي وضعنا فيها وجدنا بطانية واحدة مهترئة الحواف ، ولمبة فقيرة الكاز .

سجننا هذا ، رطب كعلبة التمر التي كنت آكلها وأنا جالسة في حديقة بيتنا شاهدة على غروب الشمس بوحدانية ، وصوت كاظم الساهر وهو يغني " كوني امرأة خطرة " يضيف للجو بهجة ، لم ينبهني القدر بأنه سيكون آخر غروب أعيشه في جنتي ، استبدلها بحفرة في حائط ، لا يرافقنا في ليلنا المهيب سوى الصراصير والرعب .

(أبي : ماذا سيفعلون بنا ؟) ، حروف غسلتها دموعي قبل أن تجد طريقها لمسمع والدي .

وبصوت حانق على المجهول وخائف عليَّ ، قال : (مهما يحصل ابقِ متمسكة بيدي ولا تفلتيها) .

فجأة ، سمعنا صوت زمجرة بسطال يهوي به صاحبه بكل رعونة على أرض تهشمت جراء قصف سابق على الحي ، فتح صاحبه النافذة ، ورمى لنا رغيفين وعلبة صغيرة من الماء ، ابتسمت منتشية : (السماء ما زالت تمطر خيراً) .

(انقطاع)

مر الوقت ، لا نعلم أكنا في ليل أم نهار ؟ ، فقد غابت ساعته عنا ، كل شيء مختلف وغريب وكأننا لا شيء في هذا الوجود ، حتى أبي تغير ، صرت لا أراه إلا كتكوين أسود مقرفص قربي لا يتكلم ، حتى ظننت بعض الأحيان التي لا أدرك حقيقة ترتيبها في ساعة الزمن أنه لا يتنفس ، فاسأله هامسة : (هل أنت بخير ؟) ، فيجيب : (نعم ، أنا في جزر المالديف ، فلا تقلقي) .

كيف ذلك ؟! ، كيف يستطيع أن يكون عظيماً بعد كل هذا !؟ .

كنت دوماً اعتقد بأن رجال الماضي ليست كرجال اليوم ، رجال قاومت حرب إيران ، وحرب الخليج ، والحصار ، والتدريبات العسكرية في عمر الثامنة عشرة ، رجال لا

تستبدل جملة (السلام عليكم) بكلمة هلاو ، رجال ثابتين على مبادئهم ، لا تغير أفكارهم فضائية ، ولا يمحو معتقداتهم إجتياح ، تأكدت أن تفكيري منطقي في كل ما فكرت به سابقاً .

ما بال هذه الحرب ؟! ، فلم نكن نعرف ماذا يجري حولنا .

ميزت الليل عن النهار بنوبة ظهور الصراصير ، فحسب علمي هي لا تظهر إلا ليلاً ! ، مؤشر خطير اكتشفته .. أضحك وأبكي في ذات اللحظة .

عانيت من لحاقي لها وقتلها ، لا أعلم من أين يخرجون لنا ، فالغرفة التي تحوينا لا يمكن أن تحتمل سكناها حتى بعوضة .

(تشتت)

بعد عدة معارك قاسية مع الصراصير التي لاحقتها من زاوية لأخرى في خفوت ضوء اللمبة غلبني النوم ، وما أن بدأت أحلامي بالتغلغل إلى رأسي حتى أيقظتني زقزقة روابط الباب الحديدي التي أكلها الصدأ من رطوبة المكان ، دخل النور ، واتسعت مساحته ، شملت حيطان الغرفة شيئاً فشيئاً ، حتى تحول الظلام إلى نهار .

زحفت باكية ومرتجفة نحو أبي ، مسكت يده فجرني بقوة إلى جانبه ، قلبي كأنه حوصر في زجاجة ضيقة ، دقاته غير منتظمة ، وجسدي يقاوم محاولا التشبث بالحياة .

خطفت نظرة سريعة لوجهه ، عيناه تبدوان أكبر ، وبشرته معقدة الطرق ، أصبح وجهه كمدينة متزاحمة الشوارع ، حاولت أن أجد طريقاً إلى جبهته لكن مدينة وجهه مهدمة وكل مابها تبدل ، ما عدت أعرفها .

حزينة ، يعتصر الألم كل الأحياء القريبة من شفتيه ، حتى السماء التي يحلق بها أنفه بكل صبر وشموخ تحول لونها لأزرق باهت ، تعلوه سحب الدخان الأسود بعد الانفجارات العنيفة التي دمرت البنى التحتية لمسامات وجهه .

صرخت موجوعة : (احتوتني حمام طول تلك المدة ، يا الهي !) .

لعله كابوس مرعب لا أكثر .

تجمعوا حولنا أناس ليسوا غاضبين هذه المرة ، مدَّ لي أحدهم يده مشجعاً : انهضي .

مشيت بقيودي نحو الباب ، وأنا أردد : أسرعي .. أسرعي ! .

رغم أنه لم يكن معي سوى أبي .